العائلة

مجلة ادبية علمية نسائية

(تصدر مرتين في الشهر)

﴿ الجزء الثامن عشر — السنة الاولى ﴾

﴿ مصر في ٢ يناير سنة ١٩٠٠ الموافق غرة رمضان المبارك سنة ١٣١٧ ﴾

مراعاة شعائر الاولاد في التربية

من المقرر ان الولد هو الرجل في سنيه الاولى من العمر وله ما للرجل من القوى العاقلة المدركة والشعور الحساس فان كانت هذه الشعور وتلك القوى نائمة على نوع ما فيه لقلة وضوحها فهي لا تلبث أن تتقدم بتقدم العمر وزيادة الاختبار وتمرن قوة الحكم لادبي فلذلك كان للولد حق في احترامنا له واعتبارنا اياه كشخص أدبي اعتباراً يحملنا على حسن التصرف معه ومخاطبته كما نخاطب رجلا أقل ادراكا منا وأنقص معرفة وامتلاك

احساساتنا والتدقيق في اظهار أميالنا وانفعالاتنا النفسانية امامه فلا نبدي لديه الا مايجوزله اقتباسه منا ولا نظهر ضمناً نخجل ان نظهره امام الغير ولنتأكد ان الاقتداء في طبيعة الولد الفطرية لانه كالمرآة يريك فضائل ومعائب من يحيطون به الذين بسلوكهم وتصرفهم يطبعون على مخيلته اول آثار الخير والشر

ثم ان الآثار التي تنطبع في ضمير الولد لا تكون في باديء امرها ظاهرة واضحة غير انها لا تلبث الا وتكبر وتتجسم فمثلها مثل العلامات التي تنقش على شجرة صغيرة فتتعمق وتمتد كلما ازداد نمو تلك الشجرة . وقد يفسد ضمير الولد الى الابد متى كان الاثر الاول الذي طبع على مخيلته قبيحاً فاسداً .

اما افساد ضمير الولد فلايكون فقط عن مشاهدته ارتكاب الاعمال التي تأباها النفس وتمجها الاخلاق فضمير الولد يفسد من مجرد امرنا له ان يتجنب ما قد نعمله نحن امامه سهواً ومن تسامحنا بالتكلم كلاما يناقض الآداب ومن تسرعنا الى الخفة وقلة اعتبار الواجب بحضوره فبينما نحن نظنه لاهياً عنا بألعابه غير ملتفت الى اقوالنا واعمالنا يكون هو في الحقيقة سامعاً لما نقول واعياً لاقطاً لكل ما يبدر منا حسناً كان او قبيحاً . فاذا كان لايفهم كل مسألة تقع تحت نظره فهو يفهم امياله الذاتية فيقدم على الاعمال التي كان يعتقد مغايرتها متى قدر ان يطبقها بميزان عقله الصغير على ماتسامحنا بعمله امامه لان الولد يتعلم الخير والشر بالقدوة كما يتعلم الكتابة بنسخ قاعدتها التي تكون امامه ولهذا لم ينفك حكماء الاقدمين عن التنبيه الى وجوب اعتبار الاطفال حفظاً على آدابهم وترقية لمداركهم وتطهيراً لطباعهم لان

اعتبارنا للناشئة يجعلنا أن نحاسب أنفسنا في أعمالنا وألفاظنا امامهم ونتحذر في سلوكنا معهم فلا نبخسهم حقهم من اللياقة والملاطفة حتى متى كبروا اعتبروا أنفسهم أيضاً واجتهدوا الا يعملوا عملاً يحط بكرامتهم من أعينا وأخذوا عنا أحسن مثال للسلوك مع الغير ومعا لمتهم بالرقة واللطف كما عوملوا وواظبوا على الدرس والمطالعة ليحصلوا العلم ويتشبهوا بالكبار من معارفهم لان أعظم أماني الصغار وأجل تمنياتهم هي أن يصيروا كباراً فتراهم لا يألون جهداً في تقليد الكبار في حركاتهم وسكناتهم حتي ان ألذ المدائح للولد وأشهاها سمعاً لديه هي ان تقول له انه صار كبيراً .

على اننا نرى الغالب في معاملة الكثيرين من الناس لاولادهم معاملة الاستخفاف والامتهان والاستبداد بهم كما كان الاقدمون يستبدون باسراهم فيخاطبونهم بقوة وعنف دون داع ولا موجب كما يخاطبون مخلوقات لا تستحق الحسنى والكلام اللين حتى لقد يصل الاستبداد ببعض الاباء وميلهم الى السودد الى درجة تجعلهم ألا يسمحوا لاولادهم بالجلوس الى جانبهم الا ركعاً ولا يأذنون لهم بالكلام امامهم ولا بتناول الطعام معهم ولا بالاعتراض عليهم مهما تقدم الولد في السن والذكاء ومهما كان خطاؤهم ظاهراً ألا يذكر ذلك السيد السندان ولده مساويا له من حيث الطينة والجبلة وانه حافظ اسمه ومعيد مجده ومحط آماله فيضر بعزة نفس ولده ويحرمه حاسة اعتباره لنفسه تلك الحاسة الشريفة التي متى خسرناها خسرنا كل اكرام لاننا باحتقارنا ذواتنا نقعد عن السعي وراء ما يوصلنا لاعتبار الغير فكيف لنا الاهتمام بهذا السعي الحميد اذا كنا لا نقدر ذواتنا باسمى من العجماوات بل ننظر الى بقية الناس من حضيض ضعتنا كمن

ينظر الى السماء دون ان يستطيع اليها صعوداً فالذي يخسر اعتبار ذاته فقد خسر نفسه وعقله وأضاع شخصيته وكرامته وهان لديه السقوط في حمأة الرذيلة والاعمال المشينة لانه لايخشى احتقار الناس وهو ولا يخاف ان يضيع اعتبارهم . فعلى الاباء اذا أردوا اصلاح أولادهم واسعادهم وأحبوا ان يستبقوهم عضداً لهم وزخراً لشيخوختهم وقصدوا ان يحافظوا على اكرامهم لهم وتعلقهم بهم أن يراعوا شعائرهم في أيام طفوليتهم ولا يسوءونهم خسفاً وهوانا وليعلموا ان كل خطأ يرتكبه الوالد ضد ماذكرنا يعود عليه من الولد شراً كبيراً ويجعله اذا كان عزيز النفس ذاميل غريزي الى الحرية ان يكره والده كرهاً شديداً ويتحاشى مقابلته ما أمكنه . واليك ماقاله هربرت سبنسر

« اني لا أتردد قط عن ان أعزو للاباء أعظم نصيب من الشرور التي تثور في العائلات والتي تنسب عادة للابناء غير اني أثق بأن عموم قراء هذه الاسطر هم من الاشخاص الذين نبلت طباعهم وكرمت أخلاقهم وحسنت تربيتهم لاطفالهم لكن ان صدق هذا القول على الافراد فهو لا يصدق على العموم الذين امثال قسوتهم واستبدادهم بالناشئة هي اكثر من ان تحصى ناي تهذيب أدبي تقدر تلك الام ان تعلمه لابنها يا ترى وهي قد اعتادت متى رأته قد امتنع عن الرضاعة ان تهزجسمه بعنف وقساوة (وهذا أمر شاهدته بعيني) أي عدل يستطيع ذلك الوالد ان يلقنه لولده وهو الذي متى علم من صراخ ولده ان أصابعه قد انقفل عليها الباب يأخذ بضربه عوضاً عن انقاذه وتخفيف الامه واليك الآن حادثة اخبرني بها ثقة وهي ان ولداً حمل الى بيته بعد ان كسرت رجله فلم يكد يطأ عتبة الباب الا واستقبله والده

بالضرب القاسي واللكم المخيف البربري

نعم ان هذه شذوذ لكنها مع ذلك تظهر أنواع المظالم التي تصيب الاطفال في عائلات عديدة ولكن من منا لم ير ولداً يضربه والده لعبوسته التي تكون ناتجة في غالب الاحيان من انحراف صحته من لم يسمع والدة تصف ولدها بالحمق وقلة الانتباه وذلك باقسى العبارات واغلظها عندما ترفعه بغتة بعد سقوطه . من منا لم يطرق أذنه صوت ذلك الوالد الخشن الذي يأمر ولده بالسكون والهدوء . هذا واني لا أنكر ان صعوبة التربية تكون من الجهتين أي من جهة الوالد ومن جهة الولد »

وفي الختام نقول اننا نسلم باضطرار الآباء الى مقاصصة الاولاد ولكننا لانسلم أبداً بوجوب جعل القصاص انتقاماً وتشفياً أفلا يمكن للوالد الذي يستاء من عمل ولده ويريد قصاصه ان يقاصصه بلطف أو يوبخه بكلام رقيق موثر عوضاً ان ينتهره بغتة ويغلظ له القول والفعل . فياحبذا لو درب الوالدون أولادهم على الاقتناع بوجوب الانتهاء عن نواهيهم والائتمار باوامرهم فحينئذ لايستثقل الولد قوال أبيه ويعمل بما يقوله له عن طيب خاطر ويحبه تلك المحبة ذات القوة السحرية التي تجعل الحبيب رهيناً لاشارة محبوبه مستعداً لعمل مابوسعه استجلاباً لمسرته

قال فرنسوادي سال «لو وجدت طريقة لاقناع الخصوم غير اللين واللطف لعلمنا الله اياها » ونحن نقول انه لايوجد في التربية سوى طريقة واحدة يصح ان تسمى شريفة وهي اعتبار شعائر الاولاد الذين نربيهم لان بها تتحسن أخلاقنا وأخلاقهم والسلام